

طائرة إيرانية تهبط في صنعاء وتتحدى الرياض هل تعيد طهران فتح جسر السلاح إلى الحوثيين؟



الأحد 5 يوليو 2026 02:40 م

هبطت طائرة إيرانية في مطار صنعاء الدولي فجر 3 يوليو 2026، بعد أكثر من 10 سنوات على توقف الرحلات المباشرة بين طهران والعاصمة اليمنية، لتفتح أخطر جبهة تصعيد إقليمية جديدة بين إيران والسعودية، بعدما تحولت الرحلة إلى اختبار للقوة والسيادة وقواعد الاشتباك

لم يكن الحدث رحلة مدنية عادية في سماء منطقة هادئة، بل جاء بعد حرب مدمرة خاضتها إيران ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، وفي وقت كانت وفود سعودية وإقليمية تشارك في مراسم تشييع المرشد الإيراني الراحل علي خامنئي، ما ضاعف حساسية توقيت المغامرة الجوية ورسائلها

وبحسب الحوثيين، أقلت الطائرة التابعة لشركة ماهان أكثر من 200 شخص من العالقين والمرضى والجرحى، قبل أن تغادر وعلى متنها وفد الجماعة المشارك في مراسم التشييع، لكن الرحلة أثارت مخاوف أوسع من استغلال المسار الجديد لنقل خبراء ومعدات حساسة مستقبلاً

رحلة مدنية أم اختبار إيراني لقواعد الاشتباك؟

تكمن خطورة الرحلة في أنها الأولى المعلنة مباشرة بين إيران وصنعاء منذ أكثر من عقد، ولذلك لم ينظر إليها خصوم الحوثيين باعتبارها استثناء إنسانياً، بل بوصفها محاولة عملية لكسر القيود المفروضة على الاتصال المباشر بين طهران وحليفها اليمني

وزاد المشهد خطورة عندما أعلن المتحدث العسكري للحوثيين يحيى سريع أن مقاتلات سعودية حاولت منع الطائرة الإيرانية من الهبوط، وأن دفاعات الجماعة أجبرتها على التراجع، وهي رواية لم يقدم الحوثيون دليلاً مستقلاً يثبت تفاصيلها كاملة

غير أن أهمية البيان لا تتوقف عند صحة الاشتباك المزعوم، بل في التهديد الذي حملة للسعودية، إذ توعد الحوثيون باستهداف المطارات والموانئ والمنشآت الحيوية إذا تكررت محاولات اعتراض الطائرات المتجهة إلى المناطق الخاضعة لسيطرتهم

وهنا انتقلت القضية خلال ساعات من رحلة جوية مثيرة للجدل إلى مواجهة محتملة عبر الحدود، بعدما وضع الحوثيون الرياض أمام معادلة جديدة تقول إن طائرة إيرانية مستقبلاً يمكن أن يقابله هجوم على أهداف داخل السعودية

وبعني ذلك أن إيران وحليفها اليمني يحاولان، عملياً، فرض حق جديد بقوة الأمر الواقع، يقوم على فتح الأجواء بين طهران وصنعاء، ثم رفع كلفة أي محاولة سعودية أو يمنية لمنع هذا الاتصال إلى مستوى التهديد بحرب إقليمية

ويأتي هذا التحرك في توقيت تحاول فيه إيران ترميم صورة الردع التي تعرضت لضربة قاسية خلال حربها الأخيرة، وهو ما يجعل إظهار القدرة على الوصول المباشر إلى أحد أبرز حلفائها العرب رسالة تتجاوز الحدود اليمنية بكثير

فطهران تريد القول إن الحرب لم تقطع أذرعها، وإنما لا تزال قادرة على الوصول إلى مناطق نفوذها، حتى لو تطلب ذلك تحدي السعودية وإعادة رسم قواعد الاتصال العسكري والسياسي مع الحوثيين من دون المرور بموافقة خصومهم

شبح 2014 يعود وجسر جوي يهدد بتغيير الحرب

الذاكرة اليمينية تجعل مجرد ظهور طائرة إيرانية في مطار صنعاء حدثاً بالغ الحساسية، لأن الأشهر التي أعقبت سيطرة الحوثيين على العاصمة عام 2014 شهدت فتح رحلات مباشرة بين طهران وصنعاء قبل اندلاع الحرب الواسعة

ولم تكن تلك الرحلات منفصلة عن الصعود المتسارع للنفوذ الإيراني في اليمن، لذلك يخشى خصوم الحوثيين أن تكون الرحلة الجديدة مقدمة لإعادة بناء جسر جوي يوفّر لطهران ما يصعب عليها نقله عبر البحر

وتزداد هذه المخاوف مع تشديد الرقابة الدولية على طرق تهريب الأسلحة والمعدات عبر البحر الأحمر وبحر العرب، إذ يمكن لأي خط جوي منتظم أن يتحول إلى قناة شديدة الخطورة لنقل الأشخاص والتقنيات والمعدات الصغيرة عالية القيمة

ولا يعني ذلك أن الرحلة الأخيرة حملت بالضرورة أسلحة أو خبراء، إذ لا توجد أدلة مستقلة تثبت ذلك، لكن المشكلة تكمن في السابقة التي صنعتها، لأن السماح برحلة واحدة يفتح الباب أمام المطالبة برحلات أخرى تحت عناوين إنسانية ومدنية

وإذا تحول الخط بين طهران وصنعاء إلى مسار منتظم، فستكون إيران قد حققت اختراقاً جيوسياسياً مهماً، لأنها ستصبح قادرة على التواصل المباشر مع حليف مسلح يسيطر على العاصمة اليمينية ومؤسسات ومناطق واسعة من شمال البلاد

وعندها لن يكون الخلاف حول الطيران المدني وحده، بل حول الجهة التي تتحكم فعلياً في أجواء اليمن، ومن يملك حق الموافقة على الرحلات الدولية، وهل تستطيع جماعة مسلحة فرض علاقات خارجية مستقلة على حساب الدولة المعترف بها دولياً

كما سيؤدي تثبيت هذا الخط إلى تعميق الانقسام اليمني، لأن الحوثيين سيحصلون على منفذ مباشر إلى إيران بينما تبقى البلاد موزعة بين سلطات وقوات ونفوذ متعددة، بما يبعد فرص التسوية ويقرب المواجهة الجديدة

الأخطر أن التصعيد يأتي بينما يواجه المسار السياسي اليمني جموداً طويلاً، وهو ما قد يمنح الحوثيين فرصة للتحرر من القيود التي فرضتها سنوات التهذئة وتحويل التوازن القائم إلى مرحلة أكثر هجومية مستندة إلى دعم إيراني متجدد

السعودية أمام امتحان الرد واليمن أمام فرصة ضائعة

رد التحالف بقيادة السعودية بلهجة شديدة، متوعداً بالرد بحزم وقوة غير مسبوقة على أي محاولة لاستهداف المملكة أو انتهاك سيادة اليمن، لكن قوة التهديد لن تقاس بحدة الكلمات وحدها بل بمنع تحول الرحلة إلى سابقة دائمة

فإذا تكررت الرحلات من دون ترتيبات مع الحكومة اليمينية المعترف بها دولياً، ستصبح طهران قد فرضت واقعاً جديداً، وسيكون كل اعتراض لاحق أكثر صعوبة بعدما يصبح الخط الجوي أمراً معتاداً يجري الدفاع عنه تحت عنوان الطيران المدني

لكن الأزمة تكشف أيضاً ضعف المعسكر المناهض للحوثيين، الذي أمضى سنوات غارقاً في الانقسامات والمجالس والتشكيلات العسكرية المتنافسة، بينما حافظ الحوثيون على قيادة أكثر تماسكاً وعلاقة استراتيجية واضحة مع الداعم الإيراني

ولهذا فإن مواجهة النفوذ الإيراني لا يمكن أن تنجح بالمقاتلات والبيانات وحدها، بينما تبقى الحكومة اليمينية ضعيفة وتظل القوات المناهضة للحوثيين موزعة بين ولاءات ومشروعات متعارضة لا تجمعها قيادة عسكرية وسياسية فعالة

وتمنح المغامرة الإيرانية الرياض فرصة لإعادة النظر في سياستها اليمينية، عبر إعادة بناء شراكة حقيقية مع الدولة اليمينية، وتوحيد القوى العسكرية تحت قيادة وطنية، وإنهاء التناقض بين الحديث عن استعادة الدولة وترك مؤسساتها عاجزة

كما تحتاج المواجهة إلى تحرك دبلوماسي واسع يمنع تحويل مطار صنعاء إلى منفذ إيراني مستقل، مع الإبقاء على مسارات حقيقية لنقل المرضى والمدنيين، حتى لا تتحول الاحتياجات الإنسانية إلى غطاء تستخدمه طهران لترسيخ وجودها

فالخطر الحقيقي ليس الطائرة التي هبطت مرة واحدة، بل القاعدة التي قد تنشأ بعدها، وإذا نجحت إيران في جعل الرحلات المباشرة أمراً واقعاً، فإنها ستكون قد فتحت ممراً استراتيجياً جديداً إلى قلب الجزيرة العربية

وعندها قد يجد اليمن نفسه مرة أخرى في قلب صراع أكبر منه، لكن بصورة أكثر خطورة، إذ لم تعد الحرب محصورة بين الحوثيين وخصومهم اليمنيين، بل أصبحت مرتبطة مباشرة بحسابات إيران والسعودية ونتائج الحرب الإقليمية الأخيرة

وبذلك، تبدو رحلة ماهان أكثر من مغامرة جوية محفوفة بالمخاطر، فهي اختبار لإرادة السعودية، واختبار لقدرة الحكومة اليمينية على الدفاع عن سيادتها، ومحاولة إيرانية لمعرفة إلى أي مدى يمكن دفع الحدود من دون إشعال حرب جديدة

ويبقى السؤال الحاسم بعد هبوط الطائرة ليس كيف وصلت إلى صنعاء، بل هل ستعود طائرة أخرى بعدها، لأن الإجابة ستحدد ما إذا كان ما جرى حادثة استثنائية أم أول رحلة في جسر إيراني جديد يعيد رسم الحرب اليمينية